

فوضوية أم اشتراكية ؟

يوسف فيساريونوفيتش ستالين

ترجمة: معز الراجحي و عبد المطلب العلمي

راجعها و نقحها: الصوت الشيوعي.

الفهرسة:

I - المنهج الجدلي

II - النظرية المادية

III- الإشتراكية البروليتارية

إن الصراع الطبقي هو محور الحياة الاجتماعية اليوم. خلال هذا الصراع ، كل طبقة تسترشد بايديولوجيتها الخاصة بها . البرجوازية لها ايديولوجيتها - ما يسمى بالليبرالية . البروليتاريا لها أيضاً ايديولوجيتها : و هي كما نعلم ، الإشتراكية .

لا يمكن اعتبار الليبرالية كلاً و غير قابلة للتجزئة : فهي مقسمة الى اتجاهات مختلفة وفقاً لمختلف شرائح البرجوازية.

الإشتراكية بدورها ليست كلاً و ليست غير قابلة للتجزئة : فهي أيضاً تشمل اتجاهات مختلفة.

نحن لن نسهب هنا في تحليل الليبرالية : من الأفضل أن نؤجل ذلك لمرة أخرى .
نريد فقط أن نعرف القراء ما هي الاشتراكية وتياراتها . في رأينا ، ذلك سوف
يكون ذو أهمية كبرى بالنسبة لهم .

تشمل الاشتراكية ثلاثة تيارات رئيسية : الإصلاحية ، و الفوضوية والماركسية .
الإصلاحية (بيرنشتاين وغيره) ، الذي يرى الاشتراكية هدفا بعيد المنال ، ولا
شي غير ذلك ، و الذي عملياً ينفي الثورة الإشتراكية ويسعى إلى إقامة الاشتراكية
بالوسائل السلمية ؛ الإصلاحية التي تبشر ليس بصراع الطبقات بل تعاونها - و هذه
الإصلاحية ذاتها تتحلل يوماً بعد يوم ، و تفقد من يوم لآخر علامات الإشتراكية ؛ و
ليس هناك حاجة ، حسب رأينا ، لكي نستعرض ، في هذه المقالات عن الإشتراكية
تعريف الإصلاحية .

يختلف الأمر تماماً في ما يخص الماركسية والفوضوية : فكلتاها معروفتان
بانهما تياران اشتراكيان ؛ و الاثنتين تتخرطان في معركة شرسة فيما بينهما ،
الاثنتان تريدان الظهور أمام أعين البروليتاريا كعقيدتين إشتراكييتين حقيقتين ، و
بالطبع ، فإن تحليل هذين الإتجاهين و مقارنتهما سيكونان أكثر اثاراً للأهتمام
بالنسبة للقارئ .

نحن لسنا أولئك الناس الذين إذا ما ذكرت كلمة "الفوضوية" يديرون وجوههم
بإزدراء و يصرحون بإشارة سأم : «و ترغبون بالانشغال بهذا ، بل إنه حتى لا
يستحق عناء الحديث عنه !» . نحن نعتقد أن «نقداً» رخيصاً كهذا هو شئ تافه و لا
فائدة منه .

نحن لسنا أولئك الناس الذين يطمنون أنفسهم بفكرة أن الفوضويين ، كما يقال ،
«ليس لديهم دعم من الجماهير، وبالتالي، فهم لا يشكلون خطراً للغاية» . إن المسألة
ليست بمعرفة وراء من يمشي اليوم "جمهور" أكثر أو أقل كبيراً : المسألة تتعلق
بجوهر العقيدة . إذا كان "مذهب" الفوضويين يعبر عن الحقيقة فانه بالطبع سوف

يشق لنفسه بالضرورة طريقاً و سيحشد الجماهير حوله . لكن إذا كان متضارباً و قائماً على أسس خاطئة فإنه لن يدوم طويلاً و سيظل معلقاً في الفراغ . إن إخفاق الفوضوية هو الذي لا بد من تبيانه .

يظن البعض أن لدى الماركسية والفوضوية نفس المبادئ ؛ و أنه لا يوجد بين الاثنتين إلا اختلافات تكتيكية ، بحيث أنه ، حسب اعتقادهم ، من المستحيل تماماً معارضة واحدة بأخرى من التيارين .

لكن هذا خطأ كبير .

نحن نعتقد أن الفوضويين هم أعداء حقيقيون للماركسية . بالتالي فإننا ندرك أيضاً الحاجة إلى خوض معركة حقيقية ضد أعداء حقيقيين . إذا يجب أن نحلل "مذهب" الفوضويين من البداية الى النهاية و أن نفحصه بعمق من جميع الجوانب .

الحقيقة هي أن الماركسية والفوضوية تقومان على مبادئ مختلفة تماماً على الرغم من أن الاثنتين تدخلان الحلبة رافعتين راية الاشتراكية . إن حجر زاوية الفوضوية – هو الفرد الذي يكون تحرره ، بالنسبة لها ، الشرط الأساسي لتحرير الجمهور و المجموعة . حسب الفوضوية تحرير الجماهير مستحيل مادام الفرد لم يتحرر بعد و من ذلك شعار "كل شيء من أجل الفرد" . على عكس ذلك فإن حجر زاوية الماركسية هي الجماهير ، التي يكون تحررها ، الشرط الأساسي لتحرر الفرد . وهذا يعني ، أنه حسب الماركسية ، لا يستطيع الفرد أن يتحرر ما دامت الجماهير لم تحرز ذلك بعد ، و من ذلك شعار "كل شيء من أجل الجمهور" .

من الواضح هنا أننا بصدد مبدئين ينفي احدهما الآخر و ليس بمجرد اختلافات تكتيكية .

تهدف مقالاتنا إلى المواجهة بين هذين المبدئين المتعارضين ، إلى مقارنة الماركسية والفوضوية و بذلك تسليط الضوء على مزاياهما و عيوبهما . نرى أنه من المجدي في هذا الخصوص أن نبين للقارئ منهج هذه المقالات .

سوف نقدم أولاً تعريفاً للماركسية ؛ مروراً بتذكير وجهة نظر الفوضويين حول الماركسية ، ثم سنطرح نقد الفوضوية نفسها . بالتحديد : سنعرض المنهج الجدلي ، وجهة نظر الفوضويين حول هذا المنهج و نقدنا ؛ النظرية المادية ، وجهة نظر الفوضويين و نقدنا (سوف نتحدث في هذا المجال عن الثورة الإشتراكية ، و عن الديكتاتورية الإشتراكية ، و عن برنامج الحد الأدنى ، و بشكل عام ، عن التكتيك) ؛ فلسفة الفوضويين و نقدنا ؛ التكتيك و التنظيم لدى الفوضويين ؛ و في الختام فإننا سنقدم استنتاجاتنا .

سنحاول اثبات أن الفوضويين ، بما أنهم دعاة اشتراكية المجتمعات الصغيرة ليسوا باشتراكيين حقيقيين .

سنحاول أيضاً تبيان أن الفوضويين ، بما أنهم ينكرون ديكتاتورية البروليتاريا ، ليسوا بثوريين حقيقيين .

الآن لنشرع بالعمل .

I - المنهج الجدلي :

«في الكون كل شيء يتحرك ... الحياة تتغير ، القوى المنتجة تنمو ، والعلاقات الاجتماعية القديمة تنهار .» (كارل ماركس)

إن الماركسية ليست فقط نظرية الاشتراكية ؛ فهي تصور مكتمل للعالم ، نظام فلسفي تنبع منه طبيعياً إشتراكية ماركس البروليتارية . هذا النظام الفلسفي يحمل إسم المادية الجدلية .

لهذا فإن شرح الماركسية هو أيضاً شرح للمادية الجدلية .

لماذا يحمل هذا النظام إسم المادية الجدلية ؟

لأن منهجه جدلي ، و نظريته مادية .

ما هو المنهج الجدلي ؟

يقال ان الحياة الاجتماعية في حالة حركة و نمو مستمرين . وهذا صحيح : لا يمكن أن نعتبر الحياة شيء ثابت و جامد ؛ انها لا تتوقف ابدا على مستوى معين ؛ انها في حركة دائمة و عملية دائمة من التدمير والخلق . هذا هو السبب في أنه يوجد دائماً في الحياة الجديد و القديم ، ما ينمو و ما يموت ، العنصر الثوري و العنصر المضاد للثورة .

المنهج الجدلي يؤكد أنه يجب علينا أن ننظر إلى الحياة كما هي عليه حقا . لقد شاهدنا ان الحياه في حركة دائمة ، إذن علينا ان نطرح السؤال : إلى أين تمضي الحياة ؟ لقد رأينا أن الحياة تقدم مشهد دمار وخلق متواصلين ؛ إذا فإن واجبنا أن ننظر للحياة في دمارها و نشوئها و أن نطرح السؤال : ما الذي يفنى و ما الذي ينشأ في الحياة ؟

ما ينشأ وينمو في الحياة من يوم لآخر لا يقهر ، لا يمكننا إيقاف حركته إلى الأمام . وهذا يعني أنه ، على سبيل المثال ، إذا أتت إلى الحياة البروليتاريا كطبقة و نمت من يوم لآخر فإنها رغم ضعفها و قلة عددها كما هو الحال اليوم ، سوف ينتهي الامر بها ، بالرغم من ذلك بأن تنتصر . لماذا ؟ لأنها تنمو ، و تقوي نفسها و تمضي إلى الأمام . من ناحية أخرى ، من تصيبه الشيخوخة في الحياة يتجه الى القبر ، و بالضرورة سوف يهزم ، حتى وإن كان يمثل اليوم قوة جبارة . و هذا يعني أنه ، على سبيل المثال ، إذا فقدت البورجوازية الأرضية شيئاً فشيئاً من تحت اقدامها و تراجعت يوماً بعد يوم ، فبالرغم من قوتها و عديدها اليوم إلا إنه ستتم هزيمتها في نهاية المطاف . لماذا ؟ لأنها كطبقة تتحلل و تضعف ، تصيبها الشيخوخة و تصبح عبئاً لا جدوى منه في الحياة.

ومن هنا تأتي الأطروحة الجدلية المعروفة جيداً : كل ما هو موجود واقعياً ، بمعنى كل ما ينمو من يوم لآخر هو عقلائي ، وكل ما يتحلل يوماً بعد يوم ، هو غير عقلائي و ، بالتالي ، لن يكون بمنأى عن الهزيمة .

لنعط مثلاً على ذلك . في الثمانينيات من القرن الماضي ، نشأ جدل كبير بين المثقفين الثوريين الروس . حيث أكد الشعبويين أن القوة الرئيسية القادرة على أن تأخذ على عاتقها "تحرير روسيا" هي البرجوازية الصغرى في الريف والمدينة . لماذا ؟ سأله الماركسيون . لأنه ، يجيب الشعبويون ، البرجوازية الصغرى في الريف والمدينة تشكل حالياً الأغلبية ؛ فضلاً عن ذلك ، فإنها فقيرة وتعيش في بؤس .

يرد الماركسيون : صحيح ، تشكل البرجوازية الصغرى في الريف والمدينة اليوم الغالبية و هي حقا فقيرة ، ولكن هل هنا بالذات المعضلة ؟ فالبرجوازية الصغيرة تشكل منذ مدة طويلة الأغلبية ، لكن ، ومن دون مساعدة من البروليتاريا ، لم تبدأ ، حتى الآن ، أي مبادرة في النضال من أجل "الحرية" . لماذا ؟ لأن البرجوازية الصغرى ، كطبقة ، لا تنمو ؛ بل على العكس من ذلك ، فهي من يوم لآخر تتحلل و تتفكك إلى بورجوازية و بروليتاريا . من جهة أخرى ، و من البديهي أن الفقر ، هو أيضاً ليس ذو أهمية حاسمة هنا : إن "عراة الأقدام" * هم أشد فقراً من البرجوازية الوضيعة لكن لا أحد يقول أن بإمكانهم أن يأخذوا على عاتقهم "تحرير روسيا" .

كما نرى ، الامر لا يتعلق بمعرفة ما هي الطبقة التي تشكل الأغلبية اليوم ، أو ما هي الطبقة الأكثر فقراً ، ولكن في معرفة ما هي الطبقة التي تقوى و ما هي الطبقة التي تتحلل .

وبما أن البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة التي تنمو وتقوى دون توقف ، و التي تدفع الحياة الاجتماعية نحو الامام ، و تحشد حولها كل العناصر الثورية ، و جب علينا الاعتراف بأنها القوة الرئيسية للحركة الراهنة و أن نلتحق بصفوفها و نأخذ على عاتقنا توجهاتها التقدمية . هكذا يجيب الماركسيون .

دون شك ينظر الماركسيون للحياة الديالكتيكية ، في حين أن الشعبويين يستدلون كميثافيزيقيين لانهم يتصورون الحياة كشيء ثابت .

هكذا يعتبر المنهج الديالكتيكي تطور الحياة .

ولكن هناك حركة و هناك حركة اخرى . كان هناك واحدة ، في الحياة الإجتماعية خلال "أيام ديسمبر"⁽¹⁾ وبعد أن نهضت البروليتاريا من انحنائها ، هاجمت مستودعات الأسلحة و راحت تطارد الرجعية . لكن يجب علينا أيضا ان نسمي حركة اجتماعية ، حركة السنوات السابقة ، عندما كانت البروليتاريا ، في ظروف التطور «السلمية» تكتفي بالإضرابات المعزولة و إنشاء نقابات صغيرة .
إنه من الواضح أن الحركة تأخذ أشكالاً عديدة .

يعلمنا المنهج الجدلي أن الحركة تتخذ شكلين : الشكل التطوري و الشكل الثوري .
تكون الحركة تطورية عندما تتابع العناصر التقدمية تلقائياً عملها اليومي و تراكم تغيرات كمية طفيفة إلى النظام القديم .

تكون الحركة ثورية عندما تتحد هذه العناصر ذاتها ، تسكنها فكرة مشتركة ثم تندفع ضد معسكر العدو لتدمير النظام القديم جذريا ، تحدث تغييرات نوعية ، وتنشئ نظاماً جديداً .

إن التطور يمهد للثورة ويوفر لها تربة خصبة ، في حين أن الثورة تختم التطور، وتعزز من عمله اللاحق .

العمليات نفسها تجري في الطبيعة . يبين تاريخ العلم أن المنهج الجدلي هو منهج علمي مطلق : بدءا بعلم الفلك إلى أن ننتهي بعلم الاجتماع ، و في كل المجالات ، تتأكد فكرة أن ليس هناك شيء أبدي في العالم، و أن كل شيء يتغير ، و كل شيء ينمو . إذن ، كل شيء ، في الطبيعة ، يجب أن ننظر اليه من وجهة نظر الحركة و النمو . و هذا يعني أن روح الديالكتيك تسكن كل العلوم الحديثة .

فيما يتعلق بأشكال الحركة ، و بما أنه ، وفقا للجدلية فإن تراكم التغييرات الكمية الطفيفة تؤدي ، في نهاية المطاف ، إلى تغييرات كيفية كبيرة ، هذا القانون يسري على قدم المساواة في تاريخ الطبيعة . يبين نظام مندلييف الدوري للعناصر بوضوح مدى الأهمية في تاريخ الطبيعة و حقيقة أن التغييرات الكيفية تتولد عن التغييرات

الكمية . تشهد على ذلك ، في مجال البيولوجيا، نظرية الـ "لاماركية الجديدة" ،
النظرية التي أخذت مكان الداروينية الجديدة* .

نحن لن نقول أكثر حقائق من تلك التي ابرزها فريديريك إنجلز بشكل كاف في "ضد
دوهرينغ" . هذا هو جوهر المنهج الجدلي .

ما هو رأي الفوضويين حول المنهج الجدلي ؟ الكل يعلم أن هيغل هو الأب
الروحي للمنهج الجدلي . قام ماركس بتنقية و تطوير هذا المنهج . بطبيعة الحال
الفوضويين ايضا يعرفون هذه الحقيقة ، هم يعلمون أن هيغل كان محافظاً ، لذلك
انتهزوا الفرصة ليعنفوا هيغل واصفينه *بالمرمم*(^٢) أنهم "بيرهنون" بحماس على
أن "هيغل هو فيلسوف استعادة الملكية ... و أنه يمجّد الدستورية البيروقراطية في
شكلها المطلق ؛ و أن الفكرة العامة لفلسفته حول التاريخ تخضع للاتجاه الفلسفي
الخاص بفترة استعادة الملكية و أنها تخدم هذه القضية" ... الخ ... (انظر نوباتي
رقم ٦ شيركيز شفيلي)(^٣) .

"يثبت" الفوضوي المعروف جيداً كروبوتكين نفس الشيء في أعماله. (انظر،
على سبيل المثال كتابه *العلم و الفوضوية* باللغة الروسية).

إن كروبوتكين يتلقى دعماً بالإجماع من قبل الكروبوتكينييين لدينا ، يرددون معاً
ما ذكره كروبوتكين ، بدءاً من شيركيز شفيلي إلى ش.غ. (انظر صحيفة نوباتي).

والحقيقة هي أنه ، في هذه النقطة ، لا أحد يجادلهم . على العكس من ذلك ، فإن
الجميع متفقون على أن هيغل لم يكن ثورياً . ماركس وإنجلز أنفسهم ، قبل كل
الآخرين ، أثبتوا في كتاب نقد النقد النقدي(^٤) أن المفاهيم التاريخية لدى هيغل

❖ - أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة فيما بعد بطلان نظريات لامارك القائمة على توارث
الصفات المكتسبة و اقترت "الدارونية الجديدة" او ما يعرف بـ "النظرية التركيبية" كنظرية
معتمدة للتطور العضوي، وهي قائمة على الدمج ما بين نظرية الانتخاب الطبيعي لدارون و
حقائق علم الوراثة . - هامش للصوت الشيوعي .

تتناقض جوهرياً مع فكرة سيادة الشعب . ومع ذلك ، فإن الفوضويين "بيرهنون" و يعاودون كل يوم "برهنة" أن هيغل كان من مؤيدي "استعادة الملكية". لماذا يفعلون ذلك ؟ من المرجح أن يكون ذلك من أجل ضرب مصداقية هيغل وجعل القارئ يشعر أن هيغل "الرجعي" لا يمكن أن يكون له غير منهج "مقبت" و منافع للعلم .

هكذا يعتقد الفوضويون أن بإمكانهم دحض المنهج الجدلي .

نحن نصرّح أنه ، بهذه الطريقة ، هم لا بيرهنون إلا على جهلهم . فباسكال و لايبنتز لم يكونا ثوريين ، لكن منهج الرياضيات الذي إكتشفاه يعترف به الآن كمنهج علمي . لم يكن ماير وهيلمهولتز ثوريين ، لكن إكتشافاتهما في علم الفيزياء وفرت أساساً للعلوم . لم يكن لامارك وداروين ثوريين أبداً ؛ لكن منهجهما التطوري وضع العلوم البيولوجية على قدميها لماذا لا يتم الإقرار بحقيقة أنه بالرغم من كونه محافظاً ، إستطاع هيغل أن يبتكر المنهج العلمي الذي يُدعى جدلي ؟

لا ، بهذه الطريقة ، لن يبرهن الفوضويون على شيء غير جهلهم .

لنتابع . حسب الفوضويين «الجدلية هي ضرب من الميتافيزيقا»، و بما أنهم «يريدون تخليص العلم من الميتافيزيقا ، و الفلسفة من علم اللاهوت» ؛ فانهم يصدون عن المنهج الجدلي . (انظر نوباتي الأعداد ٣ و ٩ : بقلم ش.غ. ، انظر أيضا العلوم والفوضوية ، كروبوكتين.)

أه ! هؤلاء الفوضويون ! هم يريدون ، كما يقال ، رمي الإثم على الجار . لقد نضجت الجدلية في الصراع ضد الميتافيزيقا ، و غمرت نفسها بالمجد خلال هذه المعركة ؛ ولكن ، بالنسبة للفوضويين ، الجدلية ، هي ضرب من الميتافيزيقا !

تؤكد الجدلية أنه لا يوجد شيء أبدي في العالم ، و أن كل شيء يمر ، و كل شيء يتغير : الطبيعة والمجتمع والعادات والتقاليد ، والأفكار حول العدالة ، والحقيقة نفسها تتغير ، لهذا السبب تنظر الجدلية لكل شيء بروح نقدية ؛ لهذا السبب تنكر الحقيقة التي عُينت مرة وإلى الأبد . بالتالي فهي تنكر كذلك المبادئ المجردة ،

المبادئ «الدوغمائية الجاهزة التي لا يبق لنا بعد اكتشافها سوى أن نحفظها عن ظهر قلب» (انظر فريديريك إنجلز ، لودفيغ فيورباخ) .

الميتافيزيقا ، تخبرنا شيئاً مخالفاً تماماً . العالم ، بالنسبة لها ، هو شيء أبدي و ثابت (انظر فريديريك إنجلز : ضد دوهرينغ) ، لقد تم تعريفه مرة و إلى الأبد من قبل شخص أو شيء ما . هذا هو السبب في أن الميتافيزيقيين يرددون عبارات "العدالة الأبدية" و "الحقيقة الثابتة" .

يقول برودون "الأب الروحي" للفوضويين ، أنه يوجد في العالم عدالة متأصلة عُينت مرة و إلى الأبد والتي يجب أن تكون أساس المجتمع في المستقبل . لهذا السبب كان برودون يدعى بالميتافيزيقي . صارح ماركس برودون بواسطة المنهج الجدلي و بيّن أنه ، بما أن كل شيء متغير في العالم ، ف "العدالة" يجب أن تتغير أيضاً و أنه ، تبعاً لذلك ، ف "العدالة المتأصلة" هي هذيان ميتافيزيقي (انظر كارل ماركس، بؤس الفلسفة) . لكن تلاميذ الميتافيزيقي برودون الجورجيين يقولون لنا باستمرار "إن ديالكتيك ماركس ، هو ضرب من الميتافيزيقا ! .

تعترف الميتافيزيقيا بعدديد من الدوغمائيات الغائمة ، على سبيل المثال، الـ«مجهول» ، الـ«شيء في ذاته» ، و ، وفي نهاية المطاف ، فإنه يتدهور إلى علم اللاهوت الأجوف . على عكس برودون و سبنسر ، ناهض إنجلز هذه الدوغمائيات بواسطة المنهج الجدلي . (انظر لودفيغ فيورباخ) . لكن الفوضويين ، تلامذة برودون و سبنسر ، يقولون بأن هذين الاخيرين هما من العلماء في حين أن ماركس و إنجلز هما ميتافيزيقيين !

هناك أحد الأمرين : إما الفوضويين يضللون أنفسهم ، أو أنهم يجهلون ما يقولون.

على أية حال ، هناك شيء واحد مؤكد هو أن الفوضويين يخلطون بين النظام الميتافيزيقي لدى هيغل و منهجه الجدلي .

غني عن القول ان نظام هيغل الفلسفي ، الذي يقوم على فكرة ثابتة ، هو ميتافيزيقي من بدايته إلى نهايته . لكن ذلك ليس أقل بدهاة في أن المنهج الجدلي لدى هيغل ، الذي يدحض كل فكرة ثابتة ، هو من بدايته إلى نهايته علمي و ثوري .

لهذا السبب ، أخضع كارل ماركس النظام الميتافيزيقي لهيغل إلى انتقادات قاسية؛ و في الوقت نفسه أشاد بمنهجه الجدلي قائلا «لا ينحني امام اي شئ ، لأن جوهره نقدي و ثوري .» (انظر رأس المال ، المجلد الأول ، الخاتمة) .

لهذا السبب يرى انجلز فرقا كبيرا بين منهج هيغل و نظامه . «إن من يشدد على نظام هيغل قد يكون محافظاً في هذين المجالين . على العكس ، فإن الذي يعتبر المنهج الجدلي هو الجوهر ، يستطيع ، سواء في الدين او في السياسة ، أن ينتمي إلى المعارضة الأكثر تطرفاً» (انظر لودفيغ فيورباخ) .

الفوضويين لا يرون هذا الاختلاف و يكررون دون تفكير ، «أن الجدلية هي ضرب من الميتافيزيقا» .

لنتابع . يدعي الفوضويون أن المنهج الجدلي عار و هو "نسيج من الحماقات" ، و "منهج سفسطات" ، و "فَقْرَةٌ إِنْقِلَابِيَّةٌ فِي الْمَنْطِق" (انظر نوباتي ، رقم ٨ : ش.غ.) ، و منهج "بواسطته نثبت بنفس السهولة الحق والباطل" (انظر نوباتي ، رقم ٤ . مقال ف. تشيركيزشفيلي) .

وهكذا ، بالنسبة للفوضويين، المنهج الجدلي يبرهن عن الحقيقة كما عن الزيف على حد سواء .

قد يبدو للوهلة الأولى ، أن هذا الاتهام من قبل الفوضويين غير خالٍ من الأساس. استمعوا، على سبيل المثال، ماذا يقول انجلز عن اتباع المنهج الميتافيزيقي : « ... و إن جوابه هو "نعم – نعم ، لا – لا و ما عدا ذلك فهو إثم" و بالنسبة له فالشيء، إما موجود أو غير موجود ، وكذلك لا يمكن أن يكون الشيء هو ذاته و غيره في

نفس الوقت . الإيجابي و السلبي ينفيان بعضهما البعض بشكل مطلق ... » (انظر ضد دوهرينغ. التمهيد)

"كيف ذلك !" ، يتحامل الفوضويون . أيعقل أن نفس الشيء الواحد يمكن أن يكون في نفس الآن جيد و سيئ ؟ هذه "مغالطة" واضحة ، و "لعب على الكلمات" فهذا يعني انكم "تريدون أن تثبتوا بنفس السهولة الحقيقة و البهتان!..."

ومع ذلك ، لتأمل جوهر الأشياء.

اليوم ، نطالب بجمهورية ديمقراطية . هل يمكننا القول بان الجمهورية الديمقراطية جيدة في جميع النواحي أم أنها في جميع النواحي سيئة ؟ لماذا ؟ لأن الجمهورية الديمقراطية ليست جيدة إلا في جانب واحد ، في أنها تقضي على النظام الإقطاعي ؛ إلا أنها سيئة من جانب آخر ، عندما تعزز النظام البرجوازي . ولذلك نقول : بقدر ما تدمر الجمهورية الديمقراطية النظام الإقطاعي فأنها جيدة ، ونحن نناضل من أجل ذلك ، ولكن بقدر ما تقوي النظام البرجوازي فإنها سيئة ، ونكافح ضدها.

يترتب على ذلك أن نفس الجمهورية الديمقراطية الواحدة "جيدة" و "سيئة" على حد سواء – في نفس الوقت "نعم" و "لا" .

ويمكن أن نقول نفس الشيء في ما يخص يوم العمل بثمانى ساعات : بل هو أيضا "جيد" بقدر ما يعزز البروليتاريا ، و "سيئ" بقدر ما يرسخ نظام الأجور .

انها بالضبط هذه الحقائق التي أخذها انجلز في الاعتبار عندما عرف ، في التعابير المذكورة أعلاه ، المنهج الجدلي .

الفوضويون ، لم يفهموا ذلك ، و يعتبرون هذه الفكرة الواضحة تماما "مغالطة ضبابية" .

بطبيعة الحال ، الفوضويين أحرار في أن يلاحظوا هذه الحقائق أم أن يعرضوا عن ذلك ؛ فبإمكانهم حتى ان لا يلاحظوا الرمال على الشاطئ الرملي ، فذلك من حقهم . لكن ليتركوا بسلام المنهج الجدلي الذي ، على خلاف الفوضوية ، لا يرى الحياة مغمض العينين ، والذي يشعر بنبض الحياة و يقول صراحة : بما أن الحياة تتغير و هي كذلك في حركة ، فإن لكل ظاهرة من ظواهر الحياة اتجاهان : أحدهما إيجابي والآخر سلبي ، و يجب علينا أن ندافع عن الأول و نرفض الثاني .

لنتابع أكثر . بالنسبة لفوضويينا فإن "التطور الجدلي هو تطور كارثي من خلاله، يتم اولا تدمير الماضي ، ومن ثم يظهر المستقبل بشكل مستقل تماماً ... لقد تولدت الكوارث الطبيعية لدى كوفييه عن أسباب مجهولة ، الكوارث لدى ماركس و انجلس، هي متولدة عن الجدل" . (انظر نوباتي، رقم ٨ ش.غ.).

في عدد آخر ، المؤلف نفسه كتب ما يلي : "ترتكز الماركسية على الداروينية وتتعامل معها دون روح نقدية" . (انظر نوباتي رقم ٦). لنفكر في ذلك مليا !

ينكر كوفييه نظرية التطور الداروينية، فهو لا يعترف إلا بالكوارث الطبيعية ، و المعلوم أن الكارثة هي انفجار غير متوقع ، "وليدة اسباب مجهولة" . و يدعي الفوضويون بأن الماركسيين يرتكزون على كوفييه ، وبالتالي يرفضون الداروينية .

ينكر داروين نظرية الكوارث الطبيعية لكوفييه ، و هو يعترف بالتطور المتدرج. و ها هم الفوضويون أنفسهم يدعون أن "الماركسية ترتكز على الداروينية دون روح نقدية" ، وهذا يعني أن الماركسيين ينكرون نظرية كوفييه للكوارث .

بإختصار ، يتهم الفوضويون الماركسيين بالانحياز لكوفييه ، و في نفس الوقت ، ينتقدون انحيازهم لداروين و ليس لكوفييه .

تلك هي الفوضوية ! و كما يقول المثل : قامت الارملة بجلد نفسها بيدها ! من الواضح أن ش.غ في العدد رقم ٨ من نوباتي قد نسي ما قاله في العدد رقم ٦ .

أي منهما كان على صواب : العدد رقم ٨ أم رقم ٦ ؟ لنعود للحقائق . يقول
ماركس : "في مرحلة معينة من تطورها ، تدخل القوى المادية المنتجة للمجتمع في
تناقض مع علاقات الإنتاج القائمة ، أو ، وهذا ليس إلا تعبيراً قانونياً ، مع علاقات
الملكية عندها يبدأ عصر الثورة الاجتماعية [لكن] لا تختفي أي تشكيلة
اجتماعية أبداً قبل أن تتطور جميع القوى المنتجة متيحة لها الفسحة الكافية ..."
(انظر كارل ماركس ، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ، المقدمة .)

إذا طبقنا نظرية ماركس هذه على الحياة الاجتماعية المعاصرة ، سنجد ان هناك
تناقضا جوهريا بين القوى المنتجة المعاصرة ، التي لها طابع اجتماعي ، وشكل
ملكية المنتج ، ذي الطابع الخاص ، تناقض جوهرى ، و هذا التناقض يجب أن
يفضي إلى ثورة اجتماعية (انظر ف. انجلز ضد ديورينغ الباب الثاني الفصل
الثالث) .

كما نرى ، فإن الذي يولد الثورة ، وفقا لماركس وإنجلز ، ليست "الأسباب
المجهولة" لدى كوفيه ، ولكنها أسباب اجتماعية واضحة المعالم ، و تسمى بـ
"تطور القوى المنتجة" .

كما نرى ، تحدث الثورة ، وفقا لماركس وإنجلز ، عندما تتضج القوى المنتجة
بما فيه الكفاية ، وليس بشكل غير متوقع ، كما يعتقد كوفيه .

فمن البديهي أنه ليس هناك شيء مشترك بين نظرية كوفيه حول الكوارث و
منهج ماركس الجدلي .

من ناحية أخرى ، فإن الداروينية لا ترفض فقط نظرية الكوارث لكوفيه ، ولكن
أيضا التطور بالمعنى الجدلي ، الذي يشتمل الثورة ، في حين أنه من وجهة نظر
المنهج الجدلي فإن التطور و الثورة ، التغيرات الكمية و الكيفية هما شكلان
جوهريان لنفس الحركة .

من الواضح أنه لا يمكن الجزم بأن "الماركسية ... تنظر للداروينية دون روح نقدية". يترتب على ذلك أن نوباتي قد أخطأت في كلتا الحالتين ، في العدد رقم ٦ كما هو الحال في العدد رقم ٨ .

وأخيرا ، فإن الفوضويين يعيرون علينا في أن الجدلية ... لا توفر إمكانية، لا للخروج أو الاندفاع خارج الذات ، و لا للقفز فوقها . (انظر نوباتي العدد ٨ ش.غ.) .

و هذه ، أيها السادة الفوضويون ، هي الحقيقة ، وهنا ايها المحترمون ، أنتم على حق تماما : المنهج الجدلي ، هو في الواقع ، لا يقدم أي إمكانية من هذا القبيل . ولماذا ؟ لأن "الاندفاع خارج الذات والقفز فوق الذات" هو شأن الماعز البري ، في حين أن المنهج الجدلي أنشي للبشر .

هذا هو السر ! ...

هذه هي في المجمل وجهة نظر الفوضويين حول المنهج الجدلي .

من البديهي أن الفوضويين لم يفهموا المنهج الجدلي لماركس وإنجلز ، و اخترعوا جدلية خاصة بهم ، ليحاربونها بكل شراسة .

بالنسبة لنا نحن ، لا يسعنا إلا الضحك أمام هذا المشهد ، لأنه لا يمكن أن نتوانى عن الضحك عندما نشاهد رجلاً يصارع نزوته الخاصة ، يدحض افكاره الخاصة ، وفي الوقت نفسه يؤكد بكل حماس انتصاره على الخصم .

|| - النظرية المادية

«ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم ، على العكس وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم .» (مقدمة نقد الاقتصاد السياسي – كارل ماركس)

لقد تعرفنا على المنهج الجدلي . ما هي النظرية المادية ؟ كل شيء في العالم يتغير ، و كل شيء في الحياة ينمو ، ولكن كيف يتم هذا التغيير و ما هو الشكل الذي يتخذه هذا النمو ؟

نحن نعلم ، على سبيل المثال أن الأرض كانت ذات يوم كتلة متوهجة ، ثم بردت تدريجيا ، بعد ذلك ظهرت النباتات والحيوانات وجرى تطور عالم الحيوان ، و ظهرت فصيلة معينة من القرود ، و بعد كل ذلك ظهر الانسان .

هكذا بشكل عام نمت الطبيعة .

ونحن نعلم أيضا أن الحياة الاجتماعية لم تبقى ثابتة . في زمن ما ، كان البشر يعيشون في ظل الشيوعية البدائية ؛ في ذلك الوقت ، كانوا يكسبون رزقهم من الصيد البدائي ، كانوا يتجولون في الغابة ، ومن هناك يحصلون على الغذاء .

جاء وقت حل فيه النظام الامومي مكان الشيوعية البدائية – في ذلك الحين ، كان البشر يلبون إحتياجاتهم بشكل أساسي من الزراعة البدائية للارض . ثم حل النظام الابوي مكان النظام الأمومي ، في تلك الحقبة أصبح البشر يعتمدون في حياتهم بشكل أساسي على تربية الماشية . بعدها حل نظام العبودية مكان النظام الابوي ؛ حينها كان البشر يلبون إحتياجاتهم معتمدين على زراعة أكثر تطوراً . تلى النظام العبودي نظام القنانة الذي بدوره ترك المكان للنظام البورجوازي .

وهكذا تطورت ، بشكل عام ، الحياة الاجتماعية .

نعم ، إن كل هذا معروف ... ولكن كيف وقع هذا التطور : هل أن الوعي هو الذي أدى إلى تطور "الطبيعة" و "المجتمع" ، أم أنه ، على العكس من ذلك ، إن تطور "الطبيعة" و "المجتمع" قد أدى إلى تطور الوعي ؟

هكذا تطرح النظرية المادية السؤال .

يقول البعض أن "الطبيعة" و "الحياة الإجتماعية" مسبوقتان بفكرة كونية و هي ، و في وقت لاحق ، اصبحت أساس تطورهما ، بحيث أن تطور ظواهر "الطبيعة" و "الحياة الإجتماعية" هي ، إذا جاز التعبير، الشكل الخارجي ، و تعبير بسيط عن تطور الفكرة الكونية .

هكذا كان ، على سبيل المثال ، مذهب المثاليين ، الذين إنقسموا بمرور الوقت ، إلى عدة تيارات .

ويرى آخرون أنه و منذ البداية كانت قد وجدت في العالم قوتين تنفي احدهما الاخرى ، الفكر و المادة ، الوعي و الوجود ، وأنه ، و بذلك فإن الظواهر تنقسم بدورها الى صفتين – مثالية و مادية ، تنفي احدهما الأخرى و تتصارعان ، ويكون بذلك تطور الطبيعة و المجتمع نتيجة للصراع الدائم بين الظواهر المثالية و المادية .

هكذا كان على سبيل المثال ، مبدأ الثنائيين ، والذين بمرور الوقت ، و كما حصل مع المثاليين ، إنقسموا إلى عدة تيارات .

النظرية المادية تنفي من الأساس افكار المثاليين و كذلك افكار الثنائيين .

بكل تأكيد ، يوجد في العالم ظواهر مثالية و أخرى مادية ، ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أن كلاً منها تنفي الاخرى بشكل متبادل . على العكس من ذلك ، فإن الجانب المثالي و الجانب المادي هما شكلان مختلفان من نفس الطبيعة الواحدة أو من نفس المجتمع الواحد ؛ لا يمكن إظهار الواحد بإستقلال عن الآخر ، انهما يتعايشان ، و ينموان معاً ، و ليس هناك ، بالتالي ، أي داع للاعتقاد بأنهما ينفيان بعضهما .

إذن فإن ما تسمى بالثنائية تظهر لنا غير متناسقة .

إن الطبيعة ، واحدة و غير قابلة للتجزئة ، و تاخذ شكلين مختلفين ، المادية و المثالية ؛ المجتمع واحد و غير قابل للتجزئة و ياخذ شكلين مختلفين ، المادية

والمثالية – هذه هي الطريقة التي يجب علينا النظر بها إلى الطبيعة و الحياة الاجتماعية .

ذلك هو وحدوية النظرية المادية .

من جهة أخرى ، فإن نظرية المادية تنفي المثالية .

من الخطأ الاعتقاد أن الجانب المثالي ، وبوجه عام ، الوعي في تطوره يسبق تطور الجانب المادي .

لم يكن هناك كائنات حية ، لكن كان موجودا ما يسمى بالطبيعة الخارجية ، "لا حياة فيها" . لم يكن للكائن الحي الأول أي وعي ؛ لم يكن يمتلك سوى خصائص التهيج و أساسيات اولية من الاحاسيس . بعد ذلك نمت تدريجيا لدى الحيوانات القدرة على الإدراك ، و تحولت بشكل بطيء إلى وعي ، بقدر ما تطورت بنية الجسم والجهاز العصبي لديها . إذا مشى القرد دائما على أربعة أقدام دون ان يقوم عموده الفقري ، لما كان باستطاعة سليله الانسان ان يستخدم بحرية رثتيه و لا حباله الصوتية ، و لكان من المستحيل استخدام الكلام ، وهو ما قد كان سيؤخر بشكل كبير تطور وعيه . أضف إلى ذلك : لو لم يقف القرد على رجليه الخلفيتين ، لاضطر سليله الانسان ، على السير دائما على أربعة أقدام ، و على النظر الى الاسفل و من هناك رسم انطباعاته ؛ و ما كان له إمكانية النظر إلى الأعلى و لا الى ما حوله ، وبالتالي قد كان من المستحيل تقديم انطباعات إلى دماغه أكثر مما تفعل ذوات الأربع . وهذا كله كان ليقود إلى تأخير جذري في تطور الوعي البشري .

ويترتب على ذلك أنه ، لكي ينمو الوعي يجب أن تتغير بنية معينة للجسم أو ان يحدث تطور خاص في الجهاز العصبي .

ويترتب على ذلك أن تطور الجانب المثالي ، تطور الوعي ، هو مسبوق بتطور آخر من الجانب المادي ، تطور الظروف الخارجية : تتغير أولا الظروف

الخارجية، أي الجانب المادي ، ثم ، يتغير نتيجة لذلك ، الوعي ، أي الجانب المثالي.

وهكذا فإن تاريخ تطور الطبيعة يقوض جذريا ما يسمى بالمثالية .

و هذا ينسحب أيضاً على التطور التاريخي للمجتمع البشري .

يبين التاريخ أنه إذا كان لدى البشر ، في أزمنة مختلفة ، أفكار و رغبات مختلفة، فذلك لأنه في عصور مختلفة خاض البشر صراعاً ضد الطبيعة بأشكال مختلفة لتلبية احتياجاتهم ، و بالتالي ، كانت علاقاتهم الاقتصادية تحمل سمات مختلفة . كان هناك زمن خاض فيه البشر صراعاً ضد الطبيعة بطريقة مشتركة ، على أساس الشيوعية البدائية ، في ذلك الوقت ، كانت ممتلكاتهم ، أيضاً ، مشاعاً ، لذلك السبب كانوا بالكاد يفرقون بين "ما هو لي" و "ما هو لك" ؛ لقد كان وعيهم شيوعياً . جاء الوقت الذي تخلل فيه التمييز بين "ما هو لي" و "ما هو لك" عملية الإنتاج ، و منذ ذلك الحين ، أخذت الملكية الخاصة ذاتها طابعاً استقلالياً و فردانياً . لذلك إخترق شعور الملكية الخاصة و عي البشر . و أتى – عصر اليوم ، – حيث يتخذ الإنتاج مجدداً طابعاً إجتماعياً ؛ و بالتالي ، فإن الملكية سوف تتخذ قريباً ، بدورها ، طابعاً إجتماعياً ، و إنه لهذا السبب تخترق الاشتراكية تدريجياً و عي الناس .

لنعطي مثلاً بسيطاً . تصور إسكافياً كان يملك ورشة صغيرة ، ولكنه ، عندما عجز على تحمل المنافسة مع أرباب العمل الكبار ، إضطر إلى غلق ورشته و ، دعونا نفترض ، انه ذهب كي يشتغل في مصنع للأحذية في تفليس ، عند أدلخانوف . لقد إنخرط في العمل لدى أدلخانوف ، ليس ليصبح عاملاً أجيراً منتظماً ، و لكن لجمع المال و تكوين رأس مال صغير لكي يتمكن من إعادة فتح ورشته من جديد . كما نلاحظ ، إن وضع هذا الإسكافي هو بالفعل بروليتاري ، ولكن وعيه ليس بروليتارياً ، بل بوجوازي وضيع بالكامل . بعبارة أخرى ، فإن الوضع البرجوازي الصغير لدى الإسكافي قد اختفى بالفعل ، إنه لم يعد موجوداً ، ولكن وعيه البرجوازي الوضيع لم يختفي بعد ، بل لا يزال متخلفاً عن وضعه الفعلي .

من الواضح هنا ، أنه في الحياة الاجتماعية ، الظروف الخارجية ، أي وضع الناس ، هي التي تتغير أولاً ، وبعد ذلك ، و كنتيجة ، يتغير وعيهم .

ولكن لنعد إلى إسكافينا . كما رأينا ، لقد كان يظن أنه سيجمع المال لإعادة فتح ورشته . إن الإسكافي الذي أصبح بروليتارياً يعمل إذاً ، لكنه يجد نفسه أمام صعوبة بالغة في جمع المال لأن راتبه بالكاد يكفي لتلبية تكاليف وجوده . و لاحظ علاوة على ذلك ، أنه ليس بالشيء المغري جداً أن يفتح ورشته الخاصة : أجره المبنى ، نزوات الزبائن ، الافتقار إلى المال ، و منافسة أرباب العمل الكبار وغير ذلك من العراقيل ، هذه هي المخاوف التي تؤرق الحرفي . على عكس ذلك ، فإن البروليتاري مبعده نسيباً عن كل هذه الهواجس : فهو لا يساوره أي قلق حيال الزبائن، ولا الإيجار الذي سيدفعه ؛ ففي الصباح يذهب إلى المصنع ؛ و يغادره في المساء ، و "في هدوء لا مثيل له" ؛ و يوم السبت يضع "أجره" في جيبه في هدوء مماثل . حينها و للمرة الأولى تقص اجنحه أحلام إسكافينا البرجوازية الوضيعة ؛ عندئذ ، و للمرة الأولى ، تتولد لديه توجهات بروليتارية .

يمر الوقت ، و يدرك إسكافينا أن المال لا يكفي لتلبية احتياجاته الأساسية ، و أنه في حاجة ماسة إلى زيادة في الأجر . في نفس الوقت يدرك أن زملائه يتحدثون عن النقابات و الإضرابات . حينها ، يعي إسكافينا الحقيقة ، أنه لكي يتحسن وضعه ، عليه أن يناضل ضد أرباب العمل ، لا ان يفتح ورشته الخاصة . سوف ينخرط في النقابة ، و يسهم في الحركة الاضرابية و يعانق الأفكار الإشتراكية .

بهذا الشكل يؤدي تغير الوضع المادي للإسكافي في نهاية المطاف ، إلى تغيير في وعيه : أولاً ، تغير وضعه المالي ، بعد ذلك و في وقت لاحق ، فإن وعيه تغير ، نتيجة لذلك .

لا بد من القول بأن ذلك ينسحب على الطبقات والمجتمع ككل .

فكذلك بالنسبة للحياة الإجتماعية ، انها الظروف الخارجية التي تتغير أولاً ، أي الظروف المادية ، ثم يتغير وفقاً لذلك ، تفكير الناس ، و أخلاقهم ، و عاداتهم ، و فهمهم للعالم .

لذلك يقول ماركس : "ليس وعي الناس الذي يحدد وجودهم ، بل على العكس وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم ." (مقدمة نقد الاقتصاد السياسي كارل ماركس)

إذا كنا نسمي الجانب المادي و الظروف الخارجية ، و الوجود وغيرها من الظواهر ذات نفس الطبيعة مضمونا ، إذاً فإننا يمكن أن نسمي شكلاً ذلك الجانب المثالي ، الوعي وغيره من الظواهر ذات نفس الطبيعة . ومن هنا جاءت الأطروحة المادية المعروفة : أثناء التطور ، يسبق المضمون الشكل ، و الشكل يتخلف عن المضمون .

كذلك ، فإنه وفقاً لماركس ، يكون التطور الاقتصادي هو "القاعدة المادية" للحياة الاجتماعية ، أي مضمونها ، في حين أن السياسي والقانوني والفلسفي-الديني ، هو "الشكل الأيديولوجي" لهذا المضمون ، أي "بنية الفوقية" و يخلص ماركس إلى هذا الاستنتاج : "إن تغير الأساس الاقتصادي يقلب بشكل أكثر أو أقل سرعة البنية الفوقية الهائلة كلها" .

هذا لا يعني ، بالتأكيد ، أنه يجب علينا أن ننسب لماركس فكرة أن المضمون ممكن دون شكل ، كما تخيل ش . غ . (انظر نوباتي، رقم (١) : "نقد الأحادية") . إن مضموناً دون شكل هو شيء مستحيل ، ومع ذلك ، فإن هذا الشكل أو ذلك ، على إعتبار تأخره عن المضمون ، لا يتوافق تماماً مع هذا الأخير ، وبالتالي فإن المضمون الجديد يجبر على أن يتخذ وقتياً الشكل القديم ، و هو ما يؤدي إلى الصراع فيما بينها . في الوقت الحاضر على سبيل المثال ، فإن المضمون الاجتماعي للإنتاج لا يتناسب مع شكل ملكية المنتجات التي لديها طابع خاص ، و إنه على هذا الأساس يحدث "الصراع" الاجتماعي الحالي .

من ناحية أخرى ، فإن فكرة أن الوعي هو شكل من أشكال الوجود لا يعني أبداً أن الوعي ، بحكم طبيعته ، هو أيضاً مادة . يعتقد ذلك فقط الماديون المبتدلون (مثل بوخنر ومولسشوت) ، الذين تتعارض نظرياتهم جذرياً مع مادية ماركس و اللذان سخر منهم انجلز بحق في لودفيغ فويرباخ . حسب مادية ماركس فإن الوعي و الوجود ، الفكرة و المادة ، هما شكلان مختلفان لنفس الظاهرة الواحدة و التي تحمل الإسم العام ، الطبيعة أو المجتمع . بذلك ليست الواحدة نفيًا للأخرى و في نفس الوقت لا تمثلان نفس الظاهرة . كل ما في الامر ان تطور الطبيعة و المجتمع و الوعي ، اي ما يتم على مستوى دماغنا ، يسبقه تغير مادي ، اي ما يحدث خارج نواتنا ؛ أي ان التغير المادي سوف يتبعه حتما ، عاجلاً أو آجلاً ، تغيير مثالي مطابق .

رائع ، سيقولون لنا ، ربما كان هذا صحيحاً فيما يتعلق بتاريخ الطبيعة و المجتمع؟ ولكن كيف تتولد اليوم ، في عقولنا ، تصوراتنا و أفكارنا المختلفة؟ هل أن الظروف الخارجية موجودة في الواقع ، أو أنه لا وجود لشيء حقيقي غير فهمنا للظروف الخارجية؟ و إذا وجدت الظروف الخارجية ، فإلى أي مدى يكون تصورنا و معرفتها ممكنان؟

في هذا الصدد ، تؤكد النظرية المادية ان تمثلاتنا ، أي الأنا "الذات" ، لا توجد إلا بقدر ما توجد الظروف الخارجية ، مولدة الانطباعات "الانا" . إن من يقول ، دون أن يفكر ملياً ، أنه لا وجود لشيء خارج تمثلاتنا ، يجد نفسه مجبراً على إنكار الظروف الخارجية ، و بالتالي ، إنكار وجود مخلوقات أخرى ، مع الإعراف فقط بوجود "ذاته" ، و هذا أمر سخيف و يتناقض جذرياً مع مبادئ العلم .

مما لا شك فيه ، إن الظروف الخارجية موجودة ، و هذه الشروط كانت قد وجدت قبلنا ، و سوف توجد بعدنا ؛ إن ادراكها و معرفتها سيصبحان أكثر سهولة بقدر قوة فعلها و تأثيرها على وعينا .

حول معرفة كيف تنشأ ، في الوقت الحاضر ، داخل عقولنا ، التمثلات و الأفكار المختلفة ، يجب علينا الإشارة إلى أن ما يحدث في تاريخ الطبيعة والمجتمع يتكرر بشكل مختصر هنا أيضا ، فالموضوع الذي يقع خارج نواتنا يسبق تمثلا له ؛ و هنا أيضا ، فإن تمثلا ، أي الشكل ، يتخلف عن الموضوع ، أي عن مضمونه^٥ . فإذا كنت أنظر وارى شجرة ، هذا يعني ببساطة ، أنه قبل أن يبرز تمثلا الشجرة في عقلي ، تكون الشجرة نفسها موجودة ، و هي التي أنشأت لدي تمثلا مقابلا .

هذا وباختصار ، محتوى نظرية ماركس المادية .

ليس من الصعب للمرء أن يتصور أهمية النظرية المادية للنشاط العملي للإنسان. إذا كانت الظروف الاقتصادية تتغير أولاً ، و من ثم وفقا لذلك وعي البشر ، من الواضح أنه يجب علينا أن نسعى إلى البحث عن مبررات معينة لمثل ما ، ليس داخل عقول الناس أو خيالهم ، و لكن داخل تطور ظروفهم الاقتصادية . لا يمكن أن يكون حسناً ومقبولاً إلا المثل العليا التي تتشكل على أساس دراسة الأوضاع الاقتصادية . ليس هناك جدوى ترجى و لا يمكن القبول بكل المثل العليا التي لا تعكس الظروف الاقتصادية و لا تتركز على تطويرها .

هذا هو الاستنتاج الاول العملي للنظرية المادية .

إذا كان وعي الناس ، عاداتهم وتقاليدهم تحددتها الظروف الخارجية ، إذا كان الطابع المخل للأشكال القانونية والسياسية تحكمه حتمية المضمون الاقتصادي ، فمن الواضح أنه يجب علينا أن نعمل من أجل إعادة صياغة جذرية للعلاقات الاقتصادية لكي تتغير جذرياً عادات الشعب و تقاليده ، فضلا عن نظامه السياسي .

٥ - اثبت العلم الحديث بطلان ذلك. فقد تبين ان هناك وظيفة عقلية خالصة – ليست لها علاقة بفسلجة الدماغ – يؤديها الوعي الناتج من الدماغ. هذه الوظيفة هي anti-dating phenomenon والتي من خلالها يقوم الوعي بالغاء الفارق الزمني بين وقوع المؤثر على الحواس و تكون الادراك لهذا المؤثر بحيث يتم ادراك المؤثر عند لحظة وقوعه على الحاسة بالضبط . – ملاحظة الصوت الشيعوي .

هذا ما يقوله كارل ماركس في هذا الصدد :

"ليس هناك حاجة لحكمة كبيرة لاكتشاف أن المادية ... متصلة بالاشتراكية . اذا كان الانسان يستقي كل معرفته و إحساساته إلخ ، من العالم المحسوس ، يجب علينا إذاً أن ننظم العالم الخارجي بطريقة ، تجعل الانسان الذي يخوض التجربة ، يشعر من خلالها بما هو إنساني حقا ، و يرى صفة الانسان في نفسه ... اذا كان الانسان ليس حرا بالمعنى المادي للكلمة ، بمعنى إذا كان حرا ليس بفضل القوة السالبة التي تمكنه من تجنب هذا أو ذاك ، بل بفضل القوة الإيجابية التي تمكنه من تأكيد ذاته الفردية الحقيقية ، لا يجب معاقبة الجريمة عند الفرد ، بل علينا تحطيم بؤر الجريمة المعادية للمجتمع ... إذا كان الانسان صنيعا الظروف ، يجب صنع ظروف إنسانية. (انظر لودفيغ فيورباخ ، ملحق : "ماركس حول المادية الفرنسية في القرن الثامن عشر"). [كارل ماركس : العائلة المقدسة ، الفصل السادس *ملاحظة المترجمان*] .

هذا هو الاستنتاج الثاني العملي للنظرية المادية.

كيف ينظر الفوضويين الى النظرية المادية لماركس وانجلز ؟

إذا كان المنهج الجدلي يعود في بدايته الى هيغل ، فإن النظرية المادية ، هي تطور لمادية فيورباخ . يدرك الفوضويون ذلك جيداً ، و يسعون لإستغلال عيوب هيغل و فيورباخ لتشويه سمعه مادية ماركس وإنجلس الجدلية . فيما يتعلق بهيغل و المنهج الجدلي ، لقد أظهرنا أن حيل الفوضويين هذه لا يمكنها إثبات أي شيء سوى جهلهم . كما ينسحب هذا القول على هجماتهم ضد فيورباخ والنظرية المادية .

على سبيل المثال ، يُؤكّد الفوضويون بثقة كبيرة بالنفس أن "فيورباخ كان مؤمناً بالكون و خالقه.. " ؛ و أنه "قام بتأليه الانسان" (انظر نوباتي ، رقم ٧ : د. دلندي) ؛ و أنه "حسب فيورباخ ، الانسان هو ما يقوم بأكله ... " و أنه من المرجح أن يكون

ماركس قد اعتمد في استنتاجاته على ذلك "إذاً ، فإن الرئيسي والمهم هو الوضع الاقتصادي" . (انظر نوباتي ، رقم ٦ : ش.غ.)

الحقيقة هي أن لا أحد يشكك في إيمان فيورباخ ولا تأليهه للإنسان أو أخطاء أخرى مشابهة . على العكس من ذلك كان كل من ماركس وانجلس أول من كشف أخطاء فيورباخ . ومع ذلك يعتقد الفوضويون أنه من الضروري مرة أخرى "فضح" أخطاء سبق أن ذكرت . لماذا ؟ ربما لأنه بمهاجمة فيورباخ ، فانهم يريدون ، بشكل غير مباشر ، تشويه النظرية المادية لماركس و انجلس . من دون شك ، إذا ما نظرنا دون تحيز ، فسوف نجد بالتأكيد أن لدى فيورباخ ، بجانب الأفكار الخاطئة ، هناك أخرى صائبة ، مثلما كان الحال ، على مر التاريخ ، لدى العديد من العلماء الآخرين . ولكن الفوضويين لا ينفكون عن "فضح" ذلك ..

نحن ومرة أخرى نصرح ، أنهم بحيلهم هذه ، لن يثبتوا شيئاً غير جهلهم الخاص . من المثير للاهتمام ، أن الفوضويين (كما سنرى لاحقاً) تعمدوا نقد النظرية المادية بحديث عام دون معرفة الحد الأدنى حولها . هذا يؤدي الى تناقض بين هذا و ذاك في كثير من الأحيان والى فضح بعضهم بعضاً ، و هذا بالطبع ، يضع "نقدهم" في وضع مثير للسخرية . فوفقاً للسيد تشركيزشفيلي ، على سبيل المثال ، فإن ماركس و إنجلز قد كرهما المادية الأحادية ؛ و ماديتهما هي مبتذلة و ليست أحادية : "إن علم الطبيعيين العظيم ، مع نظامه التطوري ، نظريته التحويلية ، و ماديته الأحادية التي يكرها إنجلز بشدة ... ينكر الديالكتيك ، إلخ .." (انظر نوباتي، رقم ٤ : ف. تشركيزشفيلي).

يترتب على ذلك أن مادية العلوم الطبيعية ، التي يُقرُّ بها تشركيزشفيلي و "يكرها" إنجلز هي مادية أحادية ، و بالتالي ، فإنها تستحق الإقرار بها ، في حين أن مادية ماركس و إنجلز ليست أحادية : لذلك لا تستحق الاعتراف بها .

يقول فوضوي آخر ، أن مادية ماركس وإنجلز أحادية ، و لهذا السبب فهي تستحق أن ننكرها .

"إن تصور ماركس التاريخي هو تكرار موروث عن هيغل . بصفة عامة ، فإن المادية الأحادية المترتبة عن الموضوعية المطلقة ، وبوجه خاص ، أحادية ماركس الاقتصادية هما مستحيلتان في الطبيعة و خاطئتان في النظرية ... المادية الأحادية هي ثنائية مقنعة بشكل سيء و حل وسط بين الميتافيزيقيا والعلم ... " (انظر نوباتي، رقم ٦ .ش.غ.)

يترتب على ذلك أن المادية الأحادية غير مقبولة ، أن ماركس وإنجلز لا يكرهانها ، وأنه على العكس من ذلك ، كانا هما نفسيهما ماديين أحاديين ، لذلك يجب علينا أن نرفض المادية الأحادية.

الأول يدير نحو اليمين و الآخر نحو اليسار ! لا نعرف أيهما يقول الحقيقة ! فهما لم يتفقا إلى الآن حول ميزات أو عيوب مادية ماركس ؛ هم أنفسهم لم يفهموا بعد إذا كان ماركس مادياً أحادياً أم لا ؛ هم لم يحددوا بعد مسألة معرفة أيهما أكثر قبولاً : المادية المبتدلة أو المادية الأحادية ، – لكنهم يصمّون آذاننا بتفاخرهم : كما ترون لقد حطمنا الماركسية .

نعم ، نعم ، إذا واصل الساده الفوضويون بهذا الحماس تدمير تصورات بعضهم البعض ، فإن المستقبل ، وبلا شك ، سوف يكون من نصيبهم ...

لا تقل سخريّة حقيقة أن بعض الفوضويين "المشهورين" ، بالرغم من "شهرتهم" لا يعرفون بعد مختلف التيارات التي برزت في مجال العلوم . هم يجهلون ، تخيلوا ذلك ، أنه يوجد في مجال العلوم أصناف عديدة من المادية ، مع فروقات كبيرة فيما بينها : هناك ، على سبيل المثال ، المادية المبتدلة ، التي تنفي دور الجانب المثالي و فعله في الجانب المادي ؛ و لكن هناك أيضاً المادية المسماة أحادية – نظرية ماركس المادية – التي تحلل علمياً العلاقة المتبادلة بين الجانب المثالي و الجانب

المادي . إلا أن الفوضيين يخلطون بين هذه الاصناف المختلفة من المادية ، بل حتى أنهم لا يلاحظون الفروق الواضحة التي توجد بينها و يعلنون في نفس الوقت بكل رباطة جأش : نحن نجد العلم !

هكذا على سبيل المثال ، يعلن ب. كروبتكين بثقة تامة ، في كتاباته "الفلسفية" أن الفوضوية الشيوعية تستند إلى "الفلسفة المادية الحديثة" ، إلا انه لا يقول كلمة واحدة لتوضيح على أي "فلسفة مادية" تقوم الفوضوية الشيوعية : إن كانت تقوم على الفلسفة المادية المبتدلة ، الأحادية أو غير ذلك . إنه على الأرجح لا يعلم أنه يوجد بين مختلف تيارات المادية تناقض جوهري ، انه لا يفهم أن الخلط بين هذه التيارات ، ليس "تجديداً للعلوم" ، بل دليل على الجهل المحض . (انظر كروبتكين "العلم و الفوضوية" وكذلك "الفوضوية و فلسفتها") .

نفس الشيء يجب ان يقال عن تلاميذ كروبتكين الجورجيين . إستمعوا :

"حسب إنجلترا ، وأيضا حسب كاوتسكي ، قدم ماركس للبشرية خدمة سامية في أنه ... [من بين أمور أخرى اكتشف] المفهوم المادي . هل هذا صحيح ؟ نحن لا نعتقد ذلك ، لأننا نعرف ... ان جميع المؤرخين والعلماء والفلاسفة الذين يتمسكون بالرأي القائل بأن الآلية الاجتماعية تحكم حركتها الظروف الجغرافية و المناخية على سطح الأرض و كذلك الفلكية و الانثروبولوجية و البيولوجية ، جميعهم ماديون." (انظر نوباتي ، رقم ٢) .

اذن اتضح انه بين مادية أرسطو و هولباخ ، و مادية ماركس و موليشوتا ، لا يوجد اي اختلاف ! يا له من نقد ! ها هم اناس يملكون هذا المستوى من المعرفة ، يهدفون لتجديد العلم . فلا عجب عندما يقال "المصيبة هي عندما يبدأ الاسكافي بطهي الفطائر ! ..."

ثم ان بعض فوضيينا "المشهورين" قد استمعوا إلى القول بأن مادية ماركس هي "نظرية المعدة" ، و يتهموننا نحن الماركسيون : "حسب فيورباخ ، فان الانسان هو

ما يأكله و هذه المعادلة اثرت بشكل سحري على ماركس و انجلز و نتيجة لذلك وصل ماركس الى استنتاج ، ان السبب الاول و الاهم هو الوضع الاقتصادي و علاقات الانتاج" . و بعدها يبدأ الفوضويون بالقاء محاضرة فلسفية علينا : "من الخطأ القول ان الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف [أي الحياة الإجتماعية] هو الأكل و الإنتاج الاقتصادي إذا كان الأمر كما تزعم الأحادية ان الأكل و الوضع الإجتماعي يحددان الايدلوجيا ، لاصبح بعض النهماء عباقرة" (انظر نوباتي، رقم ٦: ش. غ.)

كم هو سهل دحض مادية ماركس وانجلز . يكفي أن تسمع من فم طالبة مَدْرَسَة داخلية ثرثرة رددت في الشارع ضد ماركس و انجلز ؛ يكفي إعادة هذه الثرثرة بحماس فلسفي على صفحات ما تسمى نوباتي حتى تستحق رأساً سمعة "ناقد الماركسية !

ولكن إخبرونا أيها السادة ، أين ، ومتى ، و على أي كوكب ، و على لسان أي ماركس قيل : إن "الأكل يحدد الايديولوجيا" ؟ لماذا لا تذكرون جملة واحدة أو كلمة واحدة من كتابات ماركس تدعم تصريحاتكم ؟ صحيح أن ماركس قال إن الوضع الاقتصادي للناس يحدد وعيهم ، و أيديولوجيتهم . ولكن من قال لكم أن تناول الأكل والحالة الاقتصادية هما نفس الشيء ؟ هل تجهلون حقاً أن الظاهرة الفيزيولوجية ألا وهي تناول الطعام ، تختلف أساساً عن هذه الظاهرة السوسيولوجية ، ألا وهي الوضع الاقتصادي للناس ؟ يمكن أن يغفر الخلط بين هذين الظاهرتين المختلفتين ، لنقل ، لأنسة ما بمدرسة داخلية ، ولكن كيف يمكن أن يردد "المنتصرون على الإشتراكية الديمقراطية" و "مجددوا العلوم" بكل زهو أخطاء أنسات المدرسة الداخلية ؟

علاوة على ذلك ، كيف للأكل أن يحدد ايديولوجية المجتمع ؟ تعالوا لنفكر ملياً في ما تقولون : إن تناول الطعام ، أي شكل تناول الأكل لا يتغيران . في القدم أيضاً كان الناس ياكلون ، و يمضغون ، و يهضمون طعامهم كما هو الحال اليوم ، غير

أن الأيديولوجيا تغيرت باستمرار . العتيقة أو الاقطاعية أو البورجوازية أو البروليتارية ، هذه هي بالمناسبة اشكال الأيديولوجيا . هل يعقل ان يحدد ما لا يتغير ما هو في تغير مستمر ؟

لنتابع . حسب الفوضويين ، فإن مادية ماركس ، " هي على موازاة ... " أو أيضاً : "إن المادية الأحادية هي ثنائية سيئة التنكر و تسوية بين الميتافيزيقيا والعلم ... يسقط ماركس في الثنائية لأنه يبرز علاقات الإنتاج كشيء مادي ، و تطلعات الإنسان و الارادة على اعتبارها ضربا من الوهم و طوباوية غير ذات أهمية ، على الرغم من وجودها" (انظر نوباتي ، رقم ٦ : ش. غ.)

أولا ، لا وجود لأي علاقة مشتركة بين مادية ماركس الأحادية مع مفهوم الموازاة السخيف . من وجهة نظر هذه المادية ، فإن الجانب المادي ، أي المضمون، يسبق بالضرورة الجانب المثالي ، أي الشكل . إن الموازاة ، تنكر وجهة النظر هذه و تعلن بشكل قاطع أنه لا الجانب المادي ، و لا الجانب المثالي يسبق الآخر ، و أن الجانبين يتطوران معاً و بشكل موازي .

ثانيا ، حتى لو أبرز ماركس علاقات الإنتاج كشيء مادي ، و تطلعات الإنسان و الارادة على اعتبارها ضربا من الوهم و الطوباوية غير ذات أهمية ، فهل يعني ذلك أن ماركس ثنائي ؟ الثنائية ، كما نعلم ، تعطي أهمية متساوية إلى الجانب المثالي والجانب المادي و تعتبرهما مبدئين متعارضين . لكن إذا كان ماركس ، حسب ما تقولون ، يعطي أهمية أكثر إلى الجانب المادي ، و على عكس ذلك لا يعير أهمية إلى الجانب المثالي على أساس أنه "طوباوية" ، أين هي ثنائية ماركس أيها السادة "النقديون" ؟

ثالثاً ، أي صلة يمكن أن يكون بين الأحادية المادية و الثنائية ، في الوقت الذي يعرف فيه حتى الطفل أن الأحادية تنطلق من مبدأ واحد – الطبيعة أو الوجود ، و الذي يحمل شكل مادي و شكل مثالي ، في حين أن الثنائية تنطلق من مبدئين ، مادي و مثالي ، و اللذان ، وفقا للثنائية ينفيان احدهما الآخر ؟

رابعا ، متى "قدم ماركس تطلعات الإنسان والإرادة على أنها ضرب من الوهم و الطوباوية" ؟ صحيح أن ماركس ربط "التطلعات الانسانية و الإرادة" بالتطور الإقتصادي و أنه عندما لا تتطابق تطلعات بعض الحالمين مع الوضع الاقتصادي ، فإنه يصف ذلك بالطوباوية . هل يعني هذا أنه ، وفق ماركس ، التطلعات الإنسانية بشكل عام هي طوباوية ؟ هل نحن حقا بحاجة أيضا لتفسير هذا ؟ أظنكم لم تقرأوا قول ماركس : "إن البشرية لا تضع امام نفسها إلا المهام التي تستطيع تحقيقها" (انظر مقدمة نقد الاقتصاد السياسي كارل ماركس) هذا يعني أن البشرية لا تكلف نفسها بمهام طوباوية . من الواضح أن "ناقدنا" إما أنه لا يفهم ما يقول أو أنه يشوه الحقائق عن قصد .

خامساً ، من قال لكم أنه حسب ماركس و انجلس "تكون التطلعات الانسانية و الإرادة دون أهمية تذكر" ؟ لماذا لا تشيرون أين تكلمنا عن ذلك ؟ ألم يتحدث ماركس عن "اهمية التطلعات و الارادة" في الثامن عشر من برومير – لويس بوناپرت ، أو في الصراع الطبقي في فرنسا ، أو في الحرب الأهلية في فرنسا ، أو في المنشورات الأخرى ؟ إذا ، لماذا سعى ماركس من منطلق الاشتراكية الى تطوير "إرادة البروليتاريا وتطلعاتها" ، لماذا قام بالدعاية بين صفوفها إذا كان لا يعير إهتماماً "للتطلعات و الإرادة" ؟ زد على ذلك ، عن ماذا يتحدث انجلس في مقالاته المعروفة بين ١٨٩١ و ١٨٩٤ ، إن لم تكن حول "أهمية الإرادة و التطلعات" ؟ نعم وفقا لماركس ، "الإرادة و التطلعات" لدى البشر تستخلص مضمونها من الظروف الاقتصادية . و لكن هل هذا يعني انهما لا تتمتعان بأي تأثير على تطور العلاقات الاقتصادية ؟ هل من العسير جدا على الفوضويين أن يفهموا فكرة كهذه في غاية البساطة ؟

لا تزال هناك "تهمة" يلصقها بنا السادة الفوضويون : "لا يمكن أن نتصور الشكل دون المضمون ... لذلك ، لا يمكن القول أن "الشكل يتبع المضمون [أي يتاخر على المحتوى ك.ك]. تعني هنا كوبا و هو احد اسماء ستالين الحركية . ملاحظة

(الترجمان) [... انهما "يتعايشان" ... وإلا ، تصبح الأحادية عبثاً" . (انظر نوباتي ، رقم ١ ش. غ.)

هنا مرة أخرى تتشوش أفكار "علامتنا" قليلاً . أن يكون المحتوى غير وارد دون شكل فهذا صحيح . لكن صحيح أيضاً أن الشكل الموجود لا يمكن أبداً أن يطابق بشكل كلي المضمون الموجود* : فالأول يتأخر عن الثاني ؛ إن المضمون الجديد يتخذ دائماً ، إلى حد ما ، الشكل القديم ، مما يؤدي إلى وجود صراع دائم بين الشكل القديم و المضمون الجديد . على هذا الأساس حدثت الثورات ، وهنا أيضاً تتجلى ؛ من بين أشياء أخرى ، الروح الثورية لمادية ماركس . فالفوضويون "المشهورون" ، لم يفهموا ذلك ، و الخطأ ، بطبيعة الحال ، يقع على عاتقهم ، وليس على النظرية المادية .

هذه هي وجهة نظر الفوضويين حول نظرية ماركس وإنجلز المادية ، هذا ما اذا كنا نستطيع تسميتها وجهة نظر .

الهوامش :

- ١ . يتعلق الأمر هنا بالتمرد المسلح للبروليتاريا بموسكو في ديسمبر كانون الاول عام ١٩٠٥ .
- ٢ . المقصود مناصر إستعادة بوربون أو إستعادة الملكية ، اي أحداث إستعادة الملكية في فرنسا الذي يطلق على الفترة التي تلت الأحداث المتتالية للثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٩) .
- ٣ . نوباتي* النداء* الصحيفة الأسبوعية للفوضويين الجورجيين ، كانت تصدر في تفليس عام ١٩٠٦ .
- ٤ . العائلة المقدسة .

* - يصح ذلك على الحياة الاجتماعية لكن لا يصح على مسألة الإدراك الحسي . راجع الهامش (♠) ص ٢٣ . - ملاحظة الصوت الشيوعي .

* المصطلحات و المفاهيم :

* "النظام الدوري للعناصر" لمندلييف :

الجدول الدوري للعناصر الكيميائية ، والذي يعرف أيضا بـ (جدول مندلييف، الجدول الدوري للعناصر ، أو فقط الجدول الدوري) وهو عرض جدولي للعناصر الكيميائية المعروفة . على الرغم من وجود جداول سبقت جدول مندلييف إلا أن بناء هذا الجدول يعزى بشكل عام إلى الكيميائي الروسي ديمتري مندلييف ، حيث قام في عام ١٨٦٩ بترتيب العناصر بالاعتماد على السلوك (الدوري) للخصائص الكيميائية للعناصر ، ثم قام هنري موزلي عام ١٩١١ بإعادة ترتيب العناصر بحسب العدد الذري ، أي عدد الإلكترونات الموجودة بكل عنصر . ومع مرور الوقت تم تعديل مخطط الجدول مرات عديدة ، حيث أضيفت عناصر جديدة مكتشفة ، كما أضيفت نماذج نظرية طورت لتفسير سلوك العناصر الكيميائية .

* نظرية ال "اللاماركية الجديدة" :

neolamarckisme : نظرية ال "اللاماركية الجديدة أو النيولاماركية" هي حركة ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر و تقوم بتطوير نظرية لامارك على أساس الاكتشافات الجينية الجديدة . و لامارك هو جان باتيست بيير أنطوان دي مونييه شوفالييه دي لامارك و هو أول من اقترح نظرية المادية والآلية لتصنيف الكائنات و من خلال ذلك أسس نظرية تطورها . كانت له نظريتان ، الأولى ان الكائنات الحية واعضاءها تتحور نتيجة للاستخدام او عدمه ، اما الثانية فان هذه التحورات قابلة لان تورث للأبناء .

* استعادة بوربون أو إستعادة الملكية :

هو الاسم الذي يطلق على الفترة التي تلت الأحداث المتتالية : الثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٩) ونهاية الجمهورية الأولى (١٧٩٢-١٨٠٤) ثم نهاية الإمبراطورية الفرنسية الأولى تحت نابليون (١٨٠٤-١٨١٤ / ١٨١٥) عند استعادة تحالف القوى الأوروبية بالأسلحة للنظام الملكي لورثة البيت بوربون ، الذين أصبحوا مرة أخرى الحائزين للمملكة في فرنسا . استعادة بوربون هي (حوالي) ٦ أبريل ١٨١٤ حتى انتفاضات شعبية (ثورة تموز / يولييه) من عام ١٨٣٠ ، باستثناء الفاصل الزمني "الأيام المائة" ، و كانت أقل من سنة كاملة في الاستعادة ، إستعادة الحكم الملكي لبوربون مرة أخرى جعلت الملكية لا تتمتع بشعبية لدى عامة السكان من

فرنسا لكن الأسرة الملكية مرة أخرى أرغمت على الفرار من باريس ، حيث انفجرت اضطرابات مدنية وانهارت السلطة الملكية .

* كروبتكين :

بيوتر كروبتكين ولد ٢٧ نوفمبر ١٨٤٢ في موسكو وتوفي ٨ فبراير ١٩٢١ في دميتروف قرب موسكو، هو منظر الفوضوية الشيوعية ، وعالم جغرافيا . الموضوع الرئيسي لعدد من اعماله هو إلغاء أي شكل من أشكال الحكم لصالح المجتمع الذي لا يمكن إلا أن تحكمه مبادئ المساعدة المتبادلة والتعاون ، دون اللجوء إلى مؤسسات الدولة .

* نظرية الكوارث الطبيعية لدى كوفيه :

جورج كوفيه : هو أحد موسسي علم التشريح المقارن و هو العلم الذي يهتم بدراسة التشابه والاختلاف في تشريح المتعضيات . ويتعلق بالتطور . وقد صار عمله أساس علم الحفريات الفقرية وقد أجرى تعديلات مهمة على تقسيم المملكة الحيوانية ، وقام بترتيب الحفريات والكائنات الحية ضمن هذا التصنيف وبرهن على أن الانقراض حقيقة علمية . كان كوفيه يؤمن أن الكائنات الحية يجب أن تصنف طبقاً للوظيفة وليس المظهر ، وقد خاض جدلاً عنيفاً مع معاصره جيفري حول نظرية التطور والارتقاء ، فقد أفترض أن الأنواع الجديدة نشأت بعد سلسلة من الفيضانات المتكررة ويذكر له أيضاً أن دراسته لحوض أنهار باريس هي مصدر نظرية ترابط الطبقات الحيوية . كذلك كان كوفيه من ألد أعداء نظرية لامارك في التطور ولم يؤمن بنظرية التطور العضوي ولكنه آمن بتكرار عملية الخلق بعد الكوارث الطبيعية .

هذه الترجمة اعتمدت على الأعمال الكاملة لستالين النسخة الفرنسية المجلد الأول وكذلك المجلد الاول من الاعمال الكاملة باللغة الروسية .

نشر الموضوع لأول مرة على شكل حلقات في الاعداد ٥، ٦، ٧، ٨، ١١، ١٨ و ٢٥ ديسمبر ١٩٠٦ و ١ يناير ١٩٠٧ من جريدة اخالي دروبيا الجورجية .